

شجرة المتوت

خضرة الأرض .. والمقرى .. والمسواقى
ورمال على المدى .. وسحابه
وجموع من الحمام .. وراع
يتغنى .. ونخلتان .. وغابه
وصفير القطار ينداح فى الأفق ، وتجرى خطواته صخابه
لحظات تهز بالقلب فرحاً
من صباه ، وتستعيد شبابه
يوم كانت دقائقه أغنيات
وهواه تطلعاً ، وصباه
والأساطير فى زواياه نهر
يترامى .. وشاعر .. وربابه
ومساء معطر بالأمانى
واشتياق الطفولة المنسابه
وحنا يشع من عين جد
غضن المصبر والزمان إهابه
فاذا ما أتى الصباح .. انطلقنا
صبية فى الفضاء نطوي رحابه
الخليج الملائن كم ضم عمراً
لون الحب شمس وترايه
والضراش الذى سبانا ، فهمنا
خلفه فى الحقول .. نجنى سرابه
ودبيب إلى المقابر ، والبوم عيون على الكوى .. مرتابه!
كان شئ يشدنا للأعاجيب ، فنعطيه أضلعاً وثابه
ومع العود ، تلتوى خطوات
أنضج المصهد جلدتها ، وأذابه
فتدور العيون تبحث عن قطعة ظل .. وللعيون انتحابه

[]

"دوحة المتوت .. أسرعوا يا رفاقي"
وتهيج الأنفاسُ ، يعلو صداها
نتبارى على الوصول إليها
ونغنى إذا بلغنا حماها..
وعلى أرضها النديّة ترتاح جلابيبُ أُشربت من ثراها
صبغتها الرياح والمطين والشمس مراراً .. فغيّمت مرّاً
ويهب المنسيم في الأفرع الخضر ، فتمتد بالمعطاء يداها..
وتسوق الأوراق رائحة المخصب ، فتمحو عن المقلوب صداها
آه يا ضمة الأمومة .. ما أحنى ذراعاً ، وأضلعاً ، وشفها!!
تنحنى فوقنا بعطف كبير
تتلقى عطاشنا بنداها
والمصافيرُ سقسقاتٌ عذابُ
وغصونٌ تيّهةٌ في علاها
وإذا صيحةٌ تدمدم فينا:
"أيكم ينتهى إلى أعلاها ؟"
فتهب الأكف ، تلتقط الأفرع في دُربةٍ ، وتلوى قواها..
"صفقوا يا رفاقُ للبطل الوثاب"
والشمسُ ترتدى في مداها
عندها نذكر البيوت ، فنستشعر زحف الدجى ، وصمت رؤاها
أن أن تبعد البلبال في الليل ، ولكن مع الصباح لقاها
من جديد يا أفرع المتوت ذاتى
غيمةٌ ، يدفع الحنين خطاها
[]

ذكرياتٌ تهزّنى حين أرنو
بخيالى إلى الصبا ، وحياتهِ
وتزيد الدقاتُ ، ينتفض الصدرُ ، إذا أيقظ الهوى طعناتهِ
ومشى في العروق لحنٌ مدمى
صبغت روعة الأسى رناته
ما تزال الأصداء في رحبة الأفق ، ولم يبرح المسنا شرفاته
وزهور على الطريق .. ونبع
يتهاذى الموال في موجاته
وتلوح الظلال من خلل الدمع ، وتنمو الحياة في حبّاته
تحت هذى الفروع .. كان لقاء
أرغشت نسمة الهوى كلماتهِ
وسكتنا .. فوق الصمت لحناً
يا حنان الحنان في نغماته!
صعد القلب يومها بجناحين من النور .. واحتوى نجماته
ثم أهوى المساء..
يا شهقة الصدر ، ويا صحوّة الهوى من سباتهِ

-المضحى نلتقى..
بعيدٌ علينا فليكنْ والصباحُ فى خطواته
-عند شط الخليج ؟

لنا .. عند أمّ منحتْ مولدِ الهوى شمعاته
إجعلها محرّابنا .. إن بَعَدنا
يقصد القلبُ نحوها فى صلاته
[]

عدتُ يا قريتي أضمّ حنيناً
أبدياً .. إلى ثراكِ المحنونِ
لهفةٌ تشرب الممدى خفقاتى
وأضمّ الأشياء ملء جفونى
كل خطوى تحيَّة لك أهديها .. وكلّ الهوى ، وكلّ المجنونِ
التراب الذى تمرّغت فيه
والمساء الذى أثار شجونى
والحياة الخضراء فى أفرع المتوت ، وأوراق ظلها تحتوينى
[]

عدت يا قريتي .. أهدق فى الناس ، وللمناس غربةً فى عيوني
ذابت الألفة القديمة فى الأعين ، واهتزّت الرؤى فى ظنوني
وتساءلتُ:
أين خيمة أحلامى ، وحبى ، وفرحتى ، ويقينى ؟؟
فتلاقت عيونهم ، واستدارت
همساتٌ من الأسى المدفونِ
"قُطعت فى الشتاء للدفء..
ما أقسى انهمار الجليد فوق الجبين " !